فقال تعالى : ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ أي على المنبر تخطب ، هكذا ذكره غير واحد من التابعين ، منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة ، وزعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خليفة قبل أن يسلم ، وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائماً على المنبر إلا القليل منهم ، وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد : حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبي الجعد عن جابر قال : قدمت عير مرة المدينة ، ورسول الله ﷺ ، يخطب فخرج الناس وبقي اثنا عشر رجلا فنزلت ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾ أخرجاه في الصحيحين من حديث سالم به .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا زكريا بن يحيى ، حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبي الجعد وأبي سفيان عن جابر بن عبد الله قال : بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة ، فقدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله ﷺ ، حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً فقال رسول الله «والذي نفسي بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادي ناراً» ونزلت هذه الآية ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً﴾ وقال : كان في الاثني عشر الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي قوله تعالى : ﴿وتركوك قائماً﴾ دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائماً . وقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبي ﷺ خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شيء ينبغي أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله ﷺ يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة ، كما رواه أبو داود في كتاب المراسيل ، حدثنا محمود بن خالد عن الوليد ، أخبرني أبو معاذ بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول : كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين ، حتى إذا كان يوم والنبي ﷺ يخطب ، وقد صلى الجمعة ، فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعني فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير وقوله تعالى : ﴿قل ما عند الله﴾ أي الذي عند الله من الثواب في الدار الآخرة ﴿خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ أي لمن توكل عليه وطلب الرزق في وقته . آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة .

سُورَةُ المُنَافِقُونَ

ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبي ﷺ ، فأما في باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ، ولهذا قال تعالى : ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله﴾ أي إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ، ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال ﴿ والله يعلم إنك لرسوله﴾ ثم قال تعالى : ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾ أي فيما أخبروا به وإن كان مطابقاً للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ، ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم .

وقوله تعالى : ﴿اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله﴾ أي اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون ، فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم ، فاعتقدوا أنهم مسلمون ، فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما

يقولون ، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالاً ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس ، ولهذا قال تعالى : ﴿فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ أي تصديقهم الظاهر جنة أي تقية يتقون به القتل ، والجمهور يقرؤها ﴿أيمانهم﴾ جمع يمين . وقوله تعالى : ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدى ، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون . أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي .

وقوله تعالى : ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ أي وكانوا أشكالاً حسنة وذوي فصاحة وألسنة ، وإذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك في غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ، ولهذا قال تعالى : ﴿يحسبون كل صيحة عليهم﴾ أي كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى ﴿أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً﴾ فهم جهامات وصور بلا معاني ، ولهذا قال تعالى : ﴿هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ أي كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال ، وقد قال الإمام أحمد : حدثنا يزيد ، حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحي عن إسحاق بن بكير أبي الفرات عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجراً ، ولا يأتون الصلاة إلا دبراً ، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون ، خشب بالليل صخب بالنهار» وقال يزيد بن مرة : سخب بالنهار .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ
أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ
لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ
﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

يقول تعالى مخبراً عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم﴾ أي صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكباراً عن ذلك واحتقاراً لما قيل لهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون﴾ ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى : ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ كما قال في سورة براءة ، وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن أبي عمر العدني قال : قال سفيان ﴿لووا رؤوسهم﴾ قال ابن أبي عمر : حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزراً ثم قال : هو هذا . وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول كما سنورده قريباً إن شاء الله تعالى ، وبه الثقة وعليه التكلان . وقد قال محمد بن إسحاق في السيرة : ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، يعني مرجعه من أحد ، وكان عبد الله بن أبي ابن سلول كما حدثني ابن شهاب الزهري له مقام يقومه كل جمعة ، لا ينكر شرفاً له من نفسه ومن قومه ، وكان فيهم شريفاً ، إذا جلس النبي ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، وأكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، يعني مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا : اجلس ، أي عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بجراً أأن قمت أشدد أمره ، فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : قمت أشدد أمره فوثب علي رجال من أصحابه يجذبوني ويعنفونني ، لكأنما قلت بجراً أأن قمت أشدد أمره .

قالوا : ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ ، فقال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي ؛ وقال قتادة والسدي : أنزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي ، وذلك أن غلاماً من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فحدثه بحديث عنه وأمر شديد ، فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك ، وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه ، وأنزل الله فيه ما تسمعون ، وقيل لعدو الله : لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوي رأسه ، أي لست فاعلاً ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو الربيع الزهراني ، حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلاً لم يرتحل حتى يصلي فيه ، فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبي ابن سلول قال : ليخرجن الأعز منها الأذل ، فارتحل قبل أن ينزل آخر النهار ، وقيل لعبد الله بن أبي : ائت النبي ﷺ حتى يستغفر لك ، فأنزل الله تعالى : ﴿**إذا جاءك المنافقون** - إلى قوله - **وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم** ﴾ وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير . وقوله : إن ذلك كان في غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد ، فإن عبد الله بن أبي ابن سلول لم يكن ممن خرج في غزوة تبوك ، بل رجع بطائفة من الجيش ، وإنما المشهور عند أصحاب المغازي والسيران ذلك في غزوة المريسيع ، وهي غزوة بني المصطلق .

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق : حدثني محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة في قصة بني المصطلق ، فبينا رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفاري ، وكان أجيراً لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن يحيى بن حبان قال : ازدحما على الماء فاقتتلا ، فقال سنان : يا معشر الأنصار ، وقال الجهجاه : يا معشر المهاجرين ، وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبي ، فلما سمعها قال : قد ثاورونا في بلادنا ، والله ما مثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من عنده من قومه وقال : ما صنعتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها ، فسمعها زيد بن أرقم رضي الله عنه فذهب بها إلى رسول الله ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فأخبره الخبر ، فقال عمر رضي الله عنه : يارسول الله مر عباد بن بشر فليضرب عنقه ، قال رسول الله ﷺ «فكيف إذا تحدث الناس ياعمر أن محمداً يقتل أصحابه ، لا . ولكن ناد ياعمر الرحيل» فلما بلغ عبد الله بن أبي أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه ، وحلف بالله ما قال ، ما قال عليه زيد بن أرقم ، وكان عند قومه بمكان فقالوا : يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل .

وراح رسول الله ﷺ مهجراً في ساعة كان لا يروح فيها ، فلقيه أسيد بن الحضير رضي الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال : والله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها ، فقال رسول الله ﷺ «أما بلغك ماقال صاحبك ابن أبي ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل» قال : فأنت رسول الله العزيز وهو الذليل . ثم قال : ارفق به يارسول الله ، فو لله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه ، فإنه ليرى أن قد سلبته ملكاً ، فسار رسول الله ﷺ بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا ، وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث ، فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين . وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا أبو بكر بن إسحاق ، أخبرنا بشر بن موسى ، حدثنا الحميدي ، حدثنا سفيان ، حدثنا عمرو بن دينار ، سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار : فقال الأنصاري : ياللأنصار ! وقال المهاجري : ياللمهاجرين ! فقال رسول الله ﷺ «ما بال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فإنها منتنة» .

وقال عبد الله بن أبي ابن سلول : وقد فعلوها ، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؛ قال جابر : وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ، ثم كثر المهاجرين بعد ذلك ، فقال عمر : دعني أضرب عنق هذا المنافق ؛ فقال النبي ﷺ «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزي عن سفيان بن عيينة ، ورواه البخاري عن الحميدي ومسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره عن سفيان به نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن الحكم ، عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال : كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال : فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، قال : فحلف عبد الله بن أبي أنه لم يكن شيء من ذلك ، قال : فلامني قومي وقالوا : ما أردت إلى هذا ؟ قال : فانطلقت فنمت كئيباً حزيناً ، قال : فأرسل إلي نبي الله ﷺ فقال «إن الله قد أنزل عذرك وصدقك» قال : فنزلت هذه الآية ﴿**هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا** - حتى بلغ - **لئن رجعنا إلى المدينة**

ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ ورواه البخاري عند هذه الآية عن آدم بن أبي إياس عن شعبة ، ثم قال : وقال ابن أبي زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبي ليل عن زيد عن النبي ﷺ ، ورواه الترمذي والنسائي عندها أيضاً من حديث شعبة به .

[طريق أخرى عن زيد] قال الإمام أحمد رحمه الله : حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبي بكير قالا : حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق قال : سمعت زيد بن أرقم ، وقال أبو بكر عن زيد بن أرقم قال : خرجت مع عمي في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي فذكره عمي لرسول الله ﷺ ، فأرسل إلي رسول الله ﷺ فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا ، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط ، وجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ! قال حتى أنزل الله ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ قال : فبعث إلي رسول الله فقرأها رسول الله ﷺ علي ثم قال «إن الله قد صدقك» . ثم قال أحمد أيضاً : حدثنا حسن بن موسى ، حدثنا زهير ، حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول : خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه : لا تنفقوا على من عند رسول الله ﷺ حتى ينفضوا من حوله ، وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله ، فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا : كذب زيد يا رسول الله ، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي ﴿إذا جاءك المنافقون﴾ قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رؤوسهم .

وقوله تعالى : ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ قال كانوا رجالا أجمل شيء ، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضاً والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد به .

[طريق أخرى عن زيد] قال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عبد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي سعد الأزدي ، قال : حدثنا زيد بن أرقم قال : غزونا مع رسول الله ﷺ ، وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا إليه فسبق أعرابي أصحابه ليملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه ، قال : فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخى زمام ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه فانتزع حجراً فغاض الماء ، فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه ، فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره ، وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، يعني الأعراب ، وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام ، فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن معه ، ثم قال لأصحابه : لئن رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل .

قال زيد وأنا ردف عمي ، قال فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال ، فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فحلف وجحد ، قال فصدقه رسول الله ﷺ وكذبني ، قال فجاء إلي عمي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون ، قال فوقع علي من الغم ما لم يقع على أحد قط ، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر ، وقد خفقت برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ، ثم إن أبا بكر لحقني وقال : ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت : ما قال شيئاً إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي ، فقال : أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر ، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين . انفرد بإخراجه الترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن عبيد الله بن موسى به ، وزاد بعد قوله سورة المنافقين ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ـ حتى بلغ ـ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ـ حتى بلغ ـ ليخرجن الأعز منها الأذل﴾ .

وقد روى عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير في المغازي ، وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضاً هذه القصة بهذا السياق ، ولكن جعلا الذي بلغ رسول الله ﷺ كلام عبد الله بن أبي ابن سلول إنما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج ، فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله : حدثنا محمد بن عزيز الأيلي ، حدثني سلام ، حدثني عقيل ، أخبرت محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه أن رسول الله ﷺ غزا غزوة المريسيع ، وهي التي هدم رسول الله ﷺ فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر ، فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فكسر مناة ، فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من

المهاجرين والآخر من بهز ، وهم حلفاء الأنصار ، فاستعلى الرجل الذي من المهاجرين على البهزي فقال البهزي : يا معشر الأنصار ، فنصره رجال من الأنصار ، وقال المهاجري : يا معشر المهاجرين ، فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شيء من القتال ، ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل في قلبه مرض إلى عبد الله بن أبي ابن سلول فقال : قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لا تضر ولا تنفع ، قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب ، فقال عبد الله بن أبي عدو الله : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل .

قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين : ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشي حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه ، يريد عمر عبد الله بن أبي ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟» قال عمر : نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن عنقه ، فقال رسول الله ﷺ «اجلس» فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بني عبد الأشهل حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي في هذا الرجل الذي قد أفتن الناس أضرب عنقه ، فقال رسول الله ﷺ «أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟» قال : نعم والله لئن أمرتني بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ «اجلس» ثم قال رسول الله ﷺ «آذنوا بالرحيل» فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ، ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة في ثلاث سارها من قفا المشلل .

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ «أي عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟» قال عمر : نعم ، فقال رسول الله ﷺ «والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه ، فيتحدث الناس أني قد وقعت على أصحابي فأقتلهم صبراً» وأنزل الله عز وجل ﴿هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ـ إلى قوله تعالى ـ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة﴾ الآية . وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لا توجد إلا فيه ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبي لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله فقال : يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فإن كنت فاعلاً فمرني به فأنا أحمل إليك رأسه ، فو الله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده مني ، إني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله ﷺ «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا» .

وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة ، واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنه : وراءك ! فقال : ما لك ويلك ؟ فقال : والله لا تجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبي ابنه ، فقال ابنه عبد الله : والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له ، فأذن له رسول الله ﷺ فقال : أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي في مسنده : حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا أبو هارون المدني قال : قال عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول لأبيه : والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، وقال وجاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنه بلغني أنك تريد أن تقتل أبي فو الذي بعثك بالحق ، ما تأملت وجهه قط هيبة له ، ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فإني أكره أن أرى قاتل أبي .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى آمراً لعباده المؤمنين بكثرة ذكره ، وناهياً لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ، ومخبراً لهم بأنه من التهى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم

يوم القيامة ، ثم حثهم على الإنفاق في طاعته فقال ﴿وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين﴾ فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة لو شيئاً يسيراً ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات ، كان ما كان وأتى ما هو آتٍ ؛ وكل بحسب تفريطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى : ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ وقال تعالى : ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ أي لا ينظر أحداً بعد حلول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقاً في قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى : ﴿والله خبير بما تعملون﴾ .

وقال أبو عيسى الترمذي : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا جعفر بن عون ، حدثنا أبو جناب الكلبي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت ، فقال رجل : يا ابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار ، فقال : سأتلو عليك بذلك قرآناً ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ـ إلى قوله تعالى ـ والله خبير بما تعملون﴾ قال : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتين فصاعداً ؛ قال : فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والبعير . ثم قال : حدثنا عبد بن حميد ، حدثنا عبد الرزاق عن الثوري عن يحيى بن أبي حية وهو أبو جناب الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي ﷺ بنحوه ثم قال : وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبي جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح ، وضعف أبا جناب الكلبي .

قلت : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا ابن نفيل ، حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهني عن عمه يعني أبا مشجعة بن ربعي ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة في العمر فقال «إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة في العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم في قبره» . آخر تفسير سورة المنافقين . ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

سورة التغابن

ترتيبها ٦٤ — آياتها ١٨

قال الطبراني : حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقي ، حدثنا العباس بن الوليد الخلال ، حدثنا الوليد بن الوليد ، حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «ما من مولود يولد إلا مكتوب في تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن» أورده ابن عساكر في ترجمة الوليد بن صالح ، وهو غريب جداً بل منكر .

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾